جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس

بيت الشعر في المغرب
La Maison de la Poésie au Maroc
The House of Poetry in Morocco

أرضية الدورة الأكاديمية

الشعر والتاريخ

1 – 2 مارس 2023

فاس

شكّلت علاقة الشعر بالتاريخ مَوضوعَ تأمّل فكريّ ونقديّ مُنذ القديم. فقد عرضَ أرسطو لهذه العلاقة في فِقرة شهيرَةٍ ضمْن كتابه "فنّ الشعر". إنّها الفِقرةُ التي أرسَت اختلافًا جَوهَريًّا بين الشعر والتاريخ، قبْل أنْ تشهدَ هي نفسُها تآويلَ مُتباينةً في تَمديدِ رأي أرسطو، الذي لم يكُن هو ذاتهُ سوى تأويلٍ لهذه العلاقة اعتمادًا على المَتن الشعريّ للأزمنة الغابرَة.

عرفَت هذه العلاقةُ بَعد أرسطو تحقّقاتٍ نصّيةً مُختلفةً وتآويلَ كثيرةً مُتجدّدَة، إذ صارَ لها هي ذاتُها تاريخُها المُتشعّب، الذي يَنطوي على تعدّد الأوعاء النقديّة في مُقارَبتها، وعلى تبايُن تحقّقاتها النّصيّة، وعلى قضايا نظريّةٍ مُسعفةٍ في استشكالِ هذه الأوعاء والتحقّقات، وفي تجديدِ الاستشكال نَفسه.

لابدّ منَ التنصيص، بناءً على التمييز بين الوَعي النقديّ والمُمارَسة الشعريّة، على أنّ لعلاقة الشعر بالتاريخ، في مُنجَز الشعراء النصّيّ، صيَغًا مُتباينةً تبايُنَ أوعائهم الشعريّة ورُؤاهم إلى اشتغال اللغة في هذا المُنجَز. إنّ بَين الصيَغ التي بها تجسّدَت هذه العلاقة في التحقّقات النصّيّة وصيَغِ تأويلِها في البناء النقديّ اختلافًا يَنبغي ألّا يمّحي، كيلا يَصيرَ التأويلُ بديلًا عن هذه التحقّقات المفتوحة، إذ ليس ثمّة تأويلٌ يُمكنُ أن يُلجمَ مُختلفَ تحقّقاتِ هذه العلاقة، أو أن يَختزلَها في صورةٍ نهائيّة. فالتأويلُ، أيُّ تأويل، يَبقى حيًّا كلّما استندَ إلى المعرفة المُتجدّدة في استيعاب هذه العلاقة، وعملَ على استشكالِ تحقّقاتها، بمَنأى عن وهْمِ إلجامِها في صيغةٍ ثابتة.

علاقةُ الشعر بالتاريخ في التحقّق النصّيّ هي غيرُها في التآويل. عندما عُدّ الشعرُ الجاهليّ مثلًا، من زاوية انطوائه على الأيّام والأحداث والأنساب والمآثر، ديوانَ العرب، لم يكُن هذا الرأيُ نفسُه سوى تأويلٍ لعلاقةِ التاريخ بالشعر، دون أن يكونَ قادرًا على أن يَصيرَ بديلًا عن تحقّقاتِ هذه العلاقة. لكنّ تداوُلَ هذا الرأي حَوّلهُ إلى بَداهة، وأبعدَهُ عن احتمالِ عدِّه مُجرّدَ تأويل، وهو التحوّلُ الذي يَحتاجُ إلى المُساءَلة، التي بدُونها لا يُمكنُ استشكال المَتن الشعريِّ المقصود، ولا استعادَته من خارج ما تكرّسَ عنه، ولا يُمكنُ، تبعًا لذلك، استشكال علاقة هذا المَتن بالتاريخ قديمًا، قبْل التفكير في مُواصلةِ الاستشكال من داخل الشّعر الحديث.

مع أنّ موضوعَ علاقة الشعر بالتاريخ يُسائلُ قضيّةً مُكوَّنة من عُنصرَيْن، شأنُها في ذلك شأنُ كلِّ موضوع-علاقة، فإنّ الاهتمامَ به ظلّ مُقتصرًا على الشعراء وعلى نقّاد الشعر، بما جعلَ صَوتَ المُؤرّخين والمُهتمّين بالتاريخ غيرَ مسموع بصدَد هذه العلاقة، التي يُشكّلُ أحدُ طرَفَيْها انشغالَهُم الرّئيس. بقدر ما أتاحَ إشكالُ هذه العلاقة التفكيرَ فيها من زاويةِ الوشائج التي تربطُ الشعرَ بالتاريخ، بقيَ التفكيرُ في ما يُمكنُ أن يَصِلَ التاريخَ بالشعر، داخل هذه العلاقة، خافتًا، أو مُؤجّلًا باستمرار، على نحو يَكشفُ الحاجةِ إلى هذه الزاوية المَنسية، بغايةِ تفريعِ استشكال المَوضوع، وتعميقِ تشعّباته.

تَسمحُ مُقاربَةُ العلاقة المُفترَضة بين الشعر والتاريخ بتناوُله من ثلاث زوايا على الأقلّ.

أ- **الزاوية الأولى**، تخصّ وضعيّة الخطاب الشعريّ في مُدوّنة المؤرّخين والمُهتمّين بالتاريخ، بما يُتيحُ النبشَ في موضوع مَنسيّ. قد تُسيَّجُ هذه الزاويةُ بوَجهٍ عامّ ضمْن علاقةِ التاريخ بالخيال والأحلام، بمُختلف التشعّبات التي تنطوي عليها هذه العلاقة التي يُمكنُ تفريعُها على نحو حيَويّ. في سياق هذا السياج العامّ، تنبجسُ العَديدُ من الأسئلة التي تنتظرُ صَوغًا نظريًّا ومعرفيًّا. من هذه الأسئلة: كيفَ يَستحضرُ المُؤرّخُ والمُهتمُّ بالتاريخ الخطابَ الشعريّ، إنْ كانَا أصلًا يَستحضرانه في بناءِ خطابهما؟ أيُدْمجُ المُؤرّخُ والمُهتمّ بالتاريخ الخيالَ، وضمنَه الشعر، في صَوغ المعنى وبلوَرَته؟ ما علاقة التاريخ بالخَيال؟ ألا يُشكّلُ الخيالُ جُزءًا من تاريخ البَشريّة؟ أليس المُؤرّخُ مُطالَبًا بكتابةِ جانب من الخيال الإنسانيّ، خُصوصًا بعدَ أن حرصَت العديدُ من الدراسات على تشطيبِ الانفصال المَزعوم بين الواقع والخيال؟

ألا يَحتاجُ المؤرّخُ، في انفتاحه على العُلوم الإنسانيّة وبوَجه خاصّ على الأنثربولوجيا، إلى القول الشعريّ، باعتبار هذا القول كاشفًا عمّا هو أبْعد من الوقائع والأحداث؟ كيفَ يَنظرُ المُؤرّخُ والمُهتمُّ بالتاريخ إلى القضايا المُتعلِّقة بكتابةِ تاريخ الخيال؟ ما هي وُعودُ الخطاب الشعريّ بالنسبة إلى المُؤرّخ والمُهتمّ بالتاريخ؟ وما هو الحَيّزُ الذي يُمكنُ لهُما أنْ يُدْمِجَا فيه هذا الخطاب؟ وبأيّ خلفيّة؟ وضمْن أيّ أفق؟

ب- **الزاوية الثانية؛** ترتبطُ بمُساءَلة الخطاب النقديّ الذي انشغلَ بعلاقةِ الشعر بالتاريخ، بغايةِ استجلاءِ مُوَجّهات هذا الخطاب ورَصْدِ التحوّلات التي شهدَها التفكيرُ في هذه العلاقة. فكلّ تفكير فيها إلّا ويَستحضرُ تصوّرًا عن الشعر، وفي ضَوء هذا التصوّر يَصوغُ رُؤيتَهُ إليها. ذلك أنّ هذه الرؤية هي، في جانب رَئيس منها، صيغَة من صيَغ تحليلِ الشعر ومُقارَبَته، على نحو ما تبدّى ممّا عُرفَ بالمنهج التاريخيّ لمّا قارَبَ، في زَمن ما، الخطابَ الشعريّ. لا حدّ للقضايا النقديّة التي تُثيرُها علاقةُ الشعر بالتاريخ نقديًّا، لأنّ كلَّ تأويل لها يَنطلقُ أساسًا من تصوّر عن الشعر، وعن "ماهيّته". عندما يَستدعي الشعرُ التاريخ، أو عندما يَتسلّلُ التاريخُ إليه، لا يتحقّقُ ذلك إلّا انطلاقًا من أُسُسِ اشتغال اللغة الشعريّة ومن طَرائقها الخاصّة في بناءِ المَعنى. هكذا يَكفّ التاريخُ داخل القصيدَة عن أنْ يَبقَى بمَلامحه التي بها يَظهرُ في خطاب المُؤرّخ، لأنّ في القصيدة نكونُ أمام التاريخ الشّعريّ، وهو حتمًا غيرُ التاريخ بالمَعنى العامّ، حتى وإن استندَت إليه القصيدة. إنّ إثارةَ قضايا علاقةِ الشعر بالتاريخ نقديًّا والسّعيَ إلى تجديدِ النّظر إليها كوةٌ ضمْن كوى أخرى خليقة باستشكال الشعر وباستشكال مُقاربَته.

ج- **الزاوية الثالثة،** تتّصلُ بالتحقّقات النصّيّة لعلاقةِ الشعر بالتاريخ في تجاربَ شعريّة مُحدّدَة. ذلك أنّ هذه التحقّقات هي ما يُوَلّدُ السؤالَ النظريّ ويُجدّدُه في آن. حيَويّة هذه الزاوية الثالثة مُتشعّبة، لأنّها مشدودَةٌ إلى اللانهائيّ. فهي ما يَمنعُ دومًا الخطابَ النظريَّ مِن أنْ يتحدّثَ نيابةً عن الإنجاز النصّيّ، لأنّها تُتيحُ، مِنْ بَين ما تُتيحهُ، الإنصاتَ للاختلاف بين التجارب الشعريّة من داخل العلاقةِ نفسها. من الأسئلة التي تُثيرُها هذه الزاوية: ما تجلّياتُ علاقةِ الشعر بالتاريخ في مُنجَز الشعراء؟ كيفَ تشتغلُ هذه العلاقة نصّيًّا في خطابهم؟ ما الاختلافات التي يَنطوي عليها هذا الاشتغال؟

- **الجلسة الأولى: التاريخ والخيال؛ علاقة المؤرّخ بالشعر؛**
- **الجلسة الثانية: الشعر والتاريخ؛ قضايا نظرية ونقدية؛**
- **الجلسة الثالثة: الشعر والتاريخ؛ مُقاربات نصّيّة .**